شجعت العملية الفلسطينية، وخصوصاً الشباب، على الشعور بامكان هزيمة الاسرائيليين، وجيش الدفاع. انه شعور يشبه [الشعور الذي ساد] في يوم الغفران [٦/١٠/١٩٧٣]». فخلال الأيام الاربعة، التي تلت وقوع العملية الشراعية، هاجم عشرات الشبان، في أماكن متعددة، وخصوصاً معسكرات اللاجئين، دوريات الجيش الاسرائيلي بالحجارة والزجاجات الفارغة وزجاجات المولوتوف والقضبان الحديدية؛ وكانوا يعرفون أن الجيش الاسرائيلي سوف يطلق عليهم النار، وسوف يقتل، أو يجرح، بعضهم، على الأقل. لقد كانوا أكثر جرأة من ذي قبل، لأنهم، ولأسباب أخرى، تحمّسوا نتيجة للعملية، وهكذا سُجّل في المخيمات والجامعات والمدارس، في المناطق المحتلة، كيف انتصر البطل الفلسطيني وحده في المعركة على كل الجيش الاسرائيلي (يهودا ليطاني، «تقديم الاسبرين لمرض يحتاج إلى علاج جدي»، **جيروزاليم بوست**، ١٣/١٢/١٩٨٧).

على أية حال، ففي أعقاب أحداث مخيم جباليا، زجّت سلطات الاحتلال الاسرائيلي بعدد كبير من جنودها إلى المنطقة. واستخدمت الطائرات في قمع المتظاهرين. وأعلنت غزة الاضراب العام، وقام بعض الشبان، فيها، بوضع الحجارة والمتاريس على الشوارع، واحراق اطارات السيارات. وأطلق الجنود الاسرائيليون النار لتفريقهم. وتظاهر طلاب الجامعة الاسلامية في المدينة، وتدخّلت قوات الاحتلال لقمع المتظاهرين وأطلقت النار وقنابل الغاز المسيل للدموع. وانتشرت التظاهرات والصدامات في جميع انحاء مدن وقرى ومخيمات قطاع غزة. وسرعان ما انتقلت شرارتها إلى الضفة الغربية، التي تعرضت مخيماتها، وخصوصاً مخيم بلاطة، للحصار، ولأيام عدة. وتتالى سقوط القتلى والجرحى من المواطنين في الضفة والقطاع، اللذين تحوّلا إلى منطقتين عسكريتين، انتشر فيهما الاف الجنود من قوات الجيش الاسرائيلي وحرس الحدود (**البيادر السياسي**، ١٩/١٢/١٩٨٧). وبلغت حصيلة الاشتباكات بين الجيش والمواطنين، خلال شهر كانون الاول (ديسمبر)، وحده، ٣٣ قتيلاً وعشرات الجرحى ومئات المعتقلين (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، العدد ٦٨٠، ٢٤/١٢/١٩٨٧).

لغزة أسبابها

طرح انفجار الأوضاع في المناطق المحتلة، انطلاقاً من قطاع غزة، أسئلة عدة، أهمها لماذا كانت البداية في غزة ؟ ولماذا بلغت فيها هذا الحجم من العنف الذي «ميّزها»، إلى حد ما، عن بقية المناطق المحتلة، ونتج عنه عدد كبير من الضحايا ؟

تكمن الاجابة عن هذين السؤالين في الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية، الخاصة، التي ميّزت قطاع غزة، عن بقية المناطق المحتلة، وتطورت على امتداد السنوات الماضية من عمر الاحتلال . وهي، في بعض جوانبها، معطيات عامة، يمكن احتسابها، في عداد الاسباب الكامنة، وغير المباشرة، للاحداث التي شهدتها، وتشهدها، عموم المناطق المحتلة.

فقبل العام ١٩٦٧، كان قطاع غزة يخضع لحكم الادارة المصرية، التي لم تقدم، خلال فترة ادارتها للقطاع من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧، الشيء الكثير الى سكانه. أما سلطات الاحتلال، التي اخضعت القطاع لأدارتها العسكرية منذ العام ١٩٦٧، فلم تقم بتحسين الاوضاع فيه، وظلت تخشى «هذا التجمع السكاني الهائل عند حدودها». وفي نهاية الستينات، تصاعدت أعمال المقاومة في القطاع «وباتت تشكل خطورة كبيرة للمسؤولين الاسرائيليين، [وكذلك] للمستوطنين اليهود الاوائل، الذين [استوطنوا] منطقة تقدر الكثافة السكانية فيها بحوالى ١٥٠٠ نسمة للكيلومتر المربع الواحد». ولمواجهة هذا الوضع، تمّ ارسال أكثر جنرالات اسرائيل قسوة ووحشية، وهو الجنرال اريئيل شارون، الذي ذهب إلى قطاع غزة لقمع وترويض سكانه. وقد تمكن شارون من تحقيق هدفه، بعد أن شق طرقات واسعة عبر المدن والقرى، وعمل على تدمير المساكن وترحيل السكان. وأفسح، بذلك، في المجال أمام قوات الجيش الاسرائيلي لأطلاق النار، وأتاح للسيارات العسكرية الوصول إلى جميع المناطق، لكنه رسّخ شعوراً قوياً من الكراهية لكل ما هو اسرائيلي. ثم جاءت «الصحوة الاسلامية»، التي وصلت قطاع غزة «بعد أن بلغت الذروة في الكثير من دول العالم العربي»؛ اذ بات القطاع في ظروف حياتية متدنية، وشعر سكانه بالاحباط